رحلات المسعودى
مصدر من مصادر معارفه الجغرافية

الأستاذ الدكتور/ عبدالفتاح محمد وهيبه

ملخص

المسعودى هو رحالة عصره وعالم أحاط بكثير من العلوم والثقافات. طاف أكثر بلاد المسلمين وبعض الكفار فى أفريقية وآسيا ـ طلبا للعلم المبنى على المعاينة والمشاهدة. ومن أسف أن أغلب مؤلفاته فقدت مع ما فقد من كتب التراث الاسلامى ولم يبق له إلا كتابان ألاوهما: «مروج الذهب» و «التنبيه والأشراف». وقد ضمن مروج الذهب» وإلى حد ما «التنبيه والاشراف» نتفا من أخبار رحلاته التى تعد مصدرا من مصادر معارفه الجغرافية.

ولسهولة الدراسة تعرضنا لرحلاته فى اطار مراحل ثلاث هى:

- مرحلة رحلاته الباكرة (٣٠٣ ـ ٣٠٤هـ) زار فيها الهند والسند وأبحر فى بحر الزنج وزار اليمن وحضرموت والشحّر وأبحر من جزيرة قنبلو إلى عمان.
- المرحلة الثانية (٣٠٤هـ ـ ٣٣٢هـ) وزار خلالها بعض الممالك المحيطة ببحر الخزر وبعض الأقاليم الواقعة شرق دجلة.
- المرحلة الثالثة بدأت برحلته إلى الفسطاط فى ٣٣٢هـ واتبعها برحلات قصيرة إلى مدن فى مصر وسورية ثم عاد إلى الفسطاط فى عام ٣٣٦هـ حيث استقر حتى وفاته فى عام ٣٤٦هـ.

وقد ركب المسعودى بحر الزنج فى رحلاته الباكرة مرتين رأى فيه الأهوال ونـزل بأرض الزنج واليمن والشحّر وعمان. وسجل ملاحظات جغرافية سريعة. وجال فى الهند والسند جولات واسعة وأمدنا بأخبار تاريخية تتخللها اشارات ومعلومات جغرافية عن الأرض وعادات الناس وعن المدن وعن سكان الجزر فى البحار القريبة من شبه القارة الهندية.

وفى المرحلة الثانية من رحلاته مزج التاريخ بالجغرافيا مزجا شديداً فلا نجد إلا ملاحظات جغرافية محدودة عن أمم الترك والروس وعن الممالك المحيطة ببحر الخزر والقول فى صلة هذا البحر ببحرى نيطس (نيطش) و (مايطس) ثم سجل ملاحظات سريعة أيضا عن أقاليم فارس وكرمان وسجستان وخوزستان والعراق.

وقام فى المرحلة الثالثة برحلات قصيرة إلى مصر ومدن سورية وفلسطين وكتب عن مشاهداته وتجاربه قبل أن يستقر أخيرا فى فسطاط مصر.

وبعـد فإذا كان المسعـودى رحـالـة عصره قد أكتسب بعض معـارفه الجغـرافية عن طريق المشـاهدة والمعاينة إلا أنه يؤخذ عليه عدم تمحيصه للحقائق واهماله التصنيف والتوزيع وعدم اتباعه منهجا سليما وسويا، لكنه برغم هذه الزلات أتى عملا يستحق الاحترام والتقدير.



عاش المسعودى وجاب الآفاق إبان القرن الرابع الهجرى، وهو قرن ذهبى فى تاريخ الحضارة والنهضة الاسلامية، بلغ فيه الأدب الجغرافى العربى أوج تطوره بفضل المدرسة السلفية وما قدمته من مصورات كونت ما عرف «بأطلس الاسلام» وبفضل رحالة عظام يأتى فى مقدمتهم أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى فقد قام برحلات بعيدة وواسعة عملا بالتوجيه الالهى «قل انظروا ماذا فى السموات والأرض» و«قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق». فى ضوء هذا التوجيه الربانى خرج المسعودى يطلب العلم بالأرض وبالناس ومعرفة تواريخ الأمم والممالك. خرج ـ كما يذكر ـ من بغداد مسقط رأسه وهو فى ريعان شبابه وظل يطوف بلاد الله الواسعة نحوا من أربع وثلاثين سنة بعدها استقر به المقام فى الفسطاط عاصمة مصر الاسلامية، لكنه مالبث أن توفى ودفن بها فى عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م[1].

ويبدو من حديثه أنه زار الأقطار التى خضعت لنفوذ الاسلام على أيامه باستثناء شمال افريقية والأندلس. ومن الثابت أنه زار الهند لكن ليس ثمة دليل على أنه زار التبت أو الصين أو سيلون (سرنديب) أو بلاد الترك والروس. هناك فى الحق اشارات كثيرة إلى هذه البلاد وغيرها فى مصنفيه الباقيين: «مروج الذهب» والتنبيه والأشراف» بيد أنه ليس هناك من الشواهد ما يكفى ليجعلنا نحكم بأنه قد زارها فعلا. ومهما يكن من أمر فقد كان المسعودى شديد الفخر بنفسه كرحالة عظيم الثقة بالمعرفة التى تأتى من المعاينة والمشاهدة. وفى هذا يقول: «وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن اقليمه كمن قسّم عمره قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس

من مكمنـه»[٢]. ويأتى فى باب الفخـر بالنفس عنده أيضا أنه أخذ على معـاصريه اعتزازهم بأعمال السلف دون اللاحقين من أمثاله. ومن بين ما قاله فى هذا الشأن» ربما كان الأخير أحسن تأليفا، وأتقن تصنيفا لحنكة التجارب. . والاحتراس من مواقع الخطأ، ومن ها هنا صارت العلوم نامية غير متناهية، لوجود الأخير مالا يجد، الأول»[٣]. وهو ككل «كبار الناس» لا يعبأ بمن يدخله حسد ويقدم أعماله إلى ذوى النظر والتأمل الذين أعطوا كل شىء حقه من العدل ووفوه قسطه من الحق.

ولقد عاين المسعودى أثناء رحلاته مختلف الظواهر، كما سجل خبراته ولقـاءاتـه مع أهـل النظر وأهل الحكم والتجار والربابنة. وهكذا كانت رحلاته مصدرا هاما من مصادر معرفته الجغرافية. ولا نحيد عن الصواب إذا صنفنـاها تحت عنوان «مصادره العلمية» على خلاف «مصادر معرفته النـظرية» التى تمثلت فى أعـمال اليونان والعرب من الفلاسفة والفلكيين والجغرافيين والمؤرخين[٤]. ومن أسف أننا لا نملك بيانا منظما برحلاته فى البر أو البحر وان كنا نرجح اعتمادا على اشارات منه أن مؤلفه المفقود «كتاب القضـايا والتجـارب» تضمن سجلا بهذه الرحلات والتجارب[٥]. وليس أمامنا ـ والأمر كذلك ـ إلا أن نعتمد على كتابه «مروج الذهب» وإلى حد ما كتابه الثانى «التنبيه والأشراف» فيما يتصل بهذه الرحلات والتجارب، مستعينين ـ كلما دعت الحاجة ـ بمصنفات معاصرية أو بكتب المحدثين من المؤرخين والجغرافيين. وربما زاد تقديرنا لهذا الرحالة لو لم تفقد أغلب آثاره خاصة «كتاب القضايا والتجارب» السالف الذكر وسفره الضخم «أخبار الزمان» الذى يكثر من الاشارة إليه فى مصنفه «مروج الذهب».

قام المسعودى برحلاته الواسعة على مراحل مختلفة فى تواريخها وفى البلاد التى زارهـا فى كل رحلة[٦]. والـرأى أنه إذا كان البعد الزمنى هاما فان

ما شاهده الرحالة وعاينه أهم بالنسبة لنا كغرافيين. وفيما يلى المراحل التى فضلت أن أتبعها والبلاد التى رأيت أنه زارها:

١ - المرحلة الأولى التى وقعت بين ٣٠٣هـ/ ٩١٥م - ٣٠٤هـ/ ٩١٦م فى هذه المرحلة زار الهند والسند والجزر القريبة وأبحر فى بحر الزنج وزار اليمن وحضرموت والشْحِّر وسافر بحرا من جزيرة قنبلو إلى عمان[٧]. (شكل ١).

٢ - المرحلة الثانية وهى التى بدأت فى أواخر عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م وانتهت حوالى عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٢م وهى أطول المراحل زار خلالها بعض الممالك المحيطة ببحر الخزر (قزوين) وبعض الأقاليم الواقعة شرق دجلة مثل فارس والجبال (هضبة ميديا) وخوزستان وخراسان وكرمان وسجستان (شكل ٢).

٣ - بدأت هذه المرحلة الثالثة برحلته إلى الفسطاط فى نحو عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٢م أتبعها برحلات قصيرة إلى مدن وأماكن فى مصر وسورية ثم عاد أخيرا إلى الفسطاط فى عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م حيث عاش فيها حتى لقى ربه فى عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م.

١ - الرحلات الباكرة
من ٣٠٣ إلى ٣٠٤هـ

لما كان البحر هو المجال الأوسع فى تنقلاته الباكرة فسنبدأ بالحديث عن البحار التى ركبها ونثنى بالبر الذى قطعه. لم يركب المسعودى إلا بحرين من البحار السبعة التى جاء ذكرها فى كتاباته أولهما: البحر الحبشى وبحر لاروى. ونحن نتردد فى قبول دعواه بأنه أبحر فى بحر الصين وجال أيضا فى بلاد الصين لعدم وجود دليل قوى على ذلك فيما وصلنا من أعماله. والقارىء ربما لن يجد صعوبة فى التمييز بين وصفه للبحار التى ركبها وتلك التى لم يركبها من تلك النغمة التوكيدية التى يضيفها على مشاهداته فى البحار التى عبرها وخبر الملاحة فيها.

اعتبر المسعودى بحر الزنج الذى أبحر فيه مرتين جزءا من مياه لاروى الذى يمثل بدوره قسما من البحر الحبشى[٨]. وهو يعرف هذا البحر الحبشى بأنه «البحر الذى يضم بحار الصين والهند والسند والزنج والبصرة والأبلة وفارس وكرمان وعمان والبحرين والشِّحْرْ واليمن وأيله والقلزم من بلاد مصر والحبشة». ويشير إلى طوله بالفراسخ وإلى خلجانه وما به من جزائر وما على سواحله من آطام (براكين) وموان وما فى مياهه من شطوط مرجانية خطرة ومغاصات اللؤلؤ وما تحتويه البلاد المطله عليه من معادن وأحجار كريمة وأنواع الطيب المختلفة.

وبحر الزنج الذى ركبه المسعودى وشاهد فيه الأهوال «ذو موج عظيم كالجبال الشواهق.. موج أعمى يرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كأخفض

ما يكـون من الأودية» . «لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار» . ثم «هو موج مجنون يبتلع المراكب ومن فيها»[٩] . ومن الـواضـح أن هذا الموج من النوع العملاق الذى تسببه عواصف بحرية ويظهر فى المحيطات والبحار المكشوفة كبحر الزنج هذا . ويضيف الرحالة «ويركب النـواخـذة وأرباب المراكب من العمانيين والسيرافيين البحر من سنجـار (قصبة بلاد عمان) وسيراف ، فإذا توسطوا البحر دخلوا فى تلك الأمواج العاتية التى ترفعهم وتخفضهم حتى ينتهوا إلى جزيرة قنبلو فى بحر الزنج ، وربما يتابعون أبحارهم إلى بلاد سفالة والواق واق من أقاصى أرض الزنج»[١٠] . وليس الموج المجنون هو الخطر المحدق بأرباب المراكب فهناك سمك «الأوال» (الحوت الأسود) الذى تفزع منه المراكب فى الليل والنهار «وتضرب له الدبادب والخشب لينفر من ذلك»[١١] . أما العنبر فأكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأجود العنبر ما وقع فى هذه النـاحية وإلى جزائـر الـزنـج وساحل وهـو المدور الأزرق النادر كبيض النعام[١٢] . «ومنه ما يبتلعه الحوت . . . . فإذا ابتاعه قتله فيطفو فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه فى القوارب من الزنج وغيرهم . . . . فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه»[١٣] . وفى الرحلة الثانية له فى بحر الزنج نزل بجزيرة قنبلو «التى تقع على بعد سفر يوم أو يومين فى البحر من ساحل الزنج وفى مدينتها» يعيش مسلمون بين الكفار من الزنج»[١٤] .

ومن الخلجان التى تخرج من بحر الزنج متجهه نحو الشمال الغربى بحر فارس (خليج البصرة) وبحـــر القلزم . وقـد أبحـر المسعـودى فى هذين البحرين فيما بعد ٣٠٤هـ ولاحظ بذكاء علاقة ما بين هياج مياه بحر الهند وركـود مياه بحـر فارس وأرجع سبب ذلك إلى نوع الرياح الهابة خلال فصول السنة . فالرياح الموسمية الصيفية تؤدى إلى هياج مياه بحر الهند بينما

نجد مياه بحر فارس راكده فى الربيع لضعف الرياح لكنها تموج بشدة عندما تهب رياح الخريف القوية. ومع ذلك فانه (بحر فارس) «يركب فى سائر السنة من سيراف إلى البصرة». أما «إذا أراد أى مركب أن يبحر من عمان إلى الهند، فلابد أن يكون مركبا معززا وحمولته يسيرة تدفعه ريح شتوية نحو سواحل الهند»(١٥). وهكذا استطاع ملاحو الخليج أن ينفذوا إلى المحيط الهندى المتلاطم الأمواج معتمدين على الله وعلى الريح المواتيه. ويضيف الرحالة «ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها، قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب»(١٦).

وأول بحر فارس خشبات البصرة وهى علامات للمراكب المتجه إلى عمان منصوبة فى البحر. . . ورأس الجمجمة آخر بحر فارس (الخليج بما فيه خليج عمان) وهو حد لا يزال معترفا به حتى الآن. ويتابع رحالتنا وصفه للسواحل الجنوبية للجزيرة العربية فيشير إلى أن رأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحّر والأحقاف تغوص أقدامه فى المياه ويعبر عن ذلك بقوله «والرمل من تحت الماء لا يدرى أين تنتهى غايته فى الماء»(١٧). ومن جبل الجمجمة هذا تنطلق المراكب إلى بحر لاروى (المياه التى تقع بين ساحل الهند وساحل افريقية) وهو أوسع المياه فى البحر الحبشى كما يقول «لا يدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما يقطع فى الشهرين أو الثلاثة أشهر على قدر مهاب الريح والسلامة»(١٨).

وككل رحالة عصره وجغرافييه نجد المسعودى شغوفا بالحديث عن السلع الترفيه التى عرفها المترفون من أهل زمانة كاللؤلؤ والمرجان والمسك والكافور وكذلك العنبر الذى سبق أن أشرنا إلى مناطق انتاجه وأنواعه. ففى بحر فارس وسرنديب مغاصات اللؤلؤ الذى تنازع الناس فى تكوينه،

ومما قيل فى تكوينه أنه «حيوان يفزع على ما فيه من اللؤلؤ والدّرخوفا من الغاصة، كخوف المرأة على ولدها»[١٩]. ولا ينسى أن يصف حياة الغاصة وما يستعينون به على الغوص. ثم يردف مشيرا إلى أنه سبق أن أسهب فى وصف أنواع اليواقيت واللآلىء والمرجان فى مصنفه «أخبار الزمان»[٢٠].

وفى بحر لاروى سمع عن الجزر التى تقع قبالة ساحل الهند الجنوبى الغربى وأطلق عليها اسم «الدبيجات»[٢١] وربما كانت جزر المالديف وما جاورها (شكل ١). وهى على حد قوله جزائر كثيرة تبلغ الألفين عدا تشتهر بتجارة العنبر الذى ينبت - كما حدثه غير واحد من نواخذه السيرافيين والعمانيين - فى قعر البحر. . . و«أهل هذه الجزائر لا يحصرهم العد لكثرتهم ونخلهم النارجيل (أشجار جوز الهند) وليس يوجد بين سكان الجزر ألطف صنعة من أهل هذه الجزائر» فى سائر المهن والصنائع والآلات وغير ذلك. وبيوت أموال ملكتها الودع»[٢٢] وهذا يذكرنا بما شاهده المكتشفون الأوربيون ابان عصر الكشوف الجغرافية عندما نزلوا بسواحل أمريكا أو استراليا أو أفريقية الجنوبية.

ويتابع المسعودى مسيرته البحرية فى بحر هوكند (خليج البنغال) ويستمع إلى النواخذه فى شأن جزر هذا الخليج ومنها جزر الرامين (جاوة) و قنصور (سومطرة) والنجالوس (جزر نيكوباروما جاورها) وتقع إلى الشرق من سرنديب (سيلون) (شكل ١). من هذه الجزائر «يجلب الكافور وخشب البقّم والخيزران والذهب والعنبر وغذاء أهلها النارجيل (جوز الهند)[٢٣]». وحدثه البحارة كذلك عن جزر أندمان التى يسكنها أناس سود عجيبو النظر مفلفلو الشعور[٢٤]. ومن الظواهر المناخية التى وصفها له النواخذة فى خليج البنغال اعصار «التيفون» وما يحدثه فى البحار الشرقية

من ثورة مياه البحر وتخريب فى البر. يقول «وذكر لى جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا فى هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فإذا اتصل به علا البحر لذلك وارتفعت من زوابع عظيمة، لا تمر زوبعة منها بشىء إلا أتلفته، ويمطرون عقيب ذلك مطرا سهكا فيه أنواع من قذى البحر»[٢٥]. ويشير المسعودى إلى بحار تبعد جهة الشرق منها بحار «كلة» أو «كلاو» و «كردنج» «والصنف» وهى البحار التى تتخلل الأرخبيل الأندونيسى وتطيف بسواحل ماليزيا وبرما. أما بحر الصين فهو آخر البحار الشرقية وأسماه بحر «صنجى»[٢٦]. لكن من المشكوك فيه كما سبق أن ألمحنا أن يكون قد بلغ هذه البحار أو عاين شيئا منها بنفسه والأرجح أنه استند إلى روايات أرباب المراكب وإلى رواية صديقه أبى زيد السيرافى وقصة سليمان التاجر وهما من رواد الرحلات البحرية فى الاسلام[٢٧].

ومهما يكن من أمر فقد اقتصر حديثه على الخطر المحدق بالسفن فى هذه البحار وخاصة بحر الصين بسبب «الموج والخب»، وتفسير الخب كما يقول «الشدة العظيمة فى البحر»[٢٨]، كما ألمح إلى ما يبرز فى جزائره من جبال وآطام ترى من البحر وإلى الصفات الجسدية لسكان هذه الجزائر وعاداتهم وثرواتهم من الكافور والعود والقرنفل ومختلف الأخشاب الثمينة.

ارتحل المسعودى ارتحالا واسعا على طول الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ومن المحتمل أنه ذهب إلى اقليم كهلان[٢٩] بعد أن زار سد مأرب وقد لاحظ كثرة انتشار القردة بين كهلان ومأرب[٣٠] كذلك زار صنعاء وعندها شاهد خرائب قصر غمدان[٣١] وجال فى حضرموت والشحر ورأى كيف يلتقط أهل الشحر العنبر على مقربة من البحر مستعينين بنجبهم

السريعة. أما الأرض بين عدن والشحر فهى «قاحلة لا تنبت إلا شجيرات البخور»[٣٢].

مكث المسعودى زهاء عامين فى الهند والسند. وقد جال لبعض الوقت جولانا واسعا فى اقليم «كونكان» بولاية بومباى الحالية. هذا الاقليم كان كما يقول - قسما من مملكة اللار وعاصمتها المانكير (إلى الجنوب من جولبرجان فى حيدرأباد) والتى لم يزرها على وجه اليقين. أما المدن التى زارها فكان من بينها صيمور (تشول) وسندان (أو سنداره) وسوبارة[٣٣] (أوصوفاره) (شكل ١) كانت صيمور يسكنها زهاء عشرة آلاف مسلم بينهم الكثير من التجار وهم من أخلاف المسلمين الذين ولدوا وعاشوا فى الهند ومن العرب المقيمين الذين قدموا من سيراف وعمان والبصرة وبغداد وأماكن أخرى[٣٤]. ويبدو أنه كان لهذه الجالية الاسلامية رجالها من الرسميين يعينون من قبل الحاكم لإدارة شئونهم والعناية بأمورهم.

وانتقل الرحالة بعد ذلك إلى اقليم «كنباية» (كمباى) (شكل ١) فى نفس عام **٣٠٣هـ** وقدّم لنا وصفا حيا لمعالمه الجغرافية. ومن بين ما جاء فى هذا الوصف قوله «وخليج كنباية (الذى تقع عليه مدينة بنفس الاسم) أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات، عليه المدن والضياع والعمائر والجنان وأشجار جوز الهند وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجنان والمياه»[٣٥]. واستغرقت رحلته من كنباية إلى شاطىء بحر الهند يومين. وهنا لاحظ كم كان الجزر قويا. ولتوضيح هذه النقطة يروى أن كلبا كان رابضا عند حافة مياه هذا البحر فأقبل عليه المد بسرعة بحيث لم يستطع تفاديه وكان مصيره الغرق[٣٦].

وعلى الرغم من أن المسعودى لم يجل كثيرا داخل الهند إلا أنه كان يدرك

تماما مدى ضخامة حجم هذا القطر وخصوبته، إذ يصفه فيقول «وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل ببلاد الزابج وهى بين مملكة الهند والصين وتضاف إلى الهند[٣٧]. والهند متصلة مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند وأرض التبت وبين ممالك الهند تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير مقنعة»[٣٨]. كل ذلك عرفه وعرفه أهل عصره عن الهند ولا شك أنه عرف وسجل أكثر من ذلك فهو يضيف «والهند فى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم بخلاف سائر السودان من الزنج . . . وسائر الأجناس»[٣٩].

وكانت بلاد السند اقليما حديا بين دولة المسلمين وممالك الهند وقامت مدينتا المولتان والمنصورة على الخط الفاصل الذى حدد بداية البلاد الهندية[٤٠]. وهما ثغران من ثغور السند(شكل ١). وقد زار المسعودى هاتين المدينتين فى وقت ما فى الفترة بين ٣٠٣-٣٠٤هـ ووصف المولتان بقوله «وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعدد[٤١] ثم يشير إلى صنم سمى بالمولتان (هو أديتيا اله الشمس) الذى يذهب إليه الآلاف من الناس من السند والهند حاملين النذور والأموال والجواهر والعود، وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل إلى هذا الصنم. وكانت المنصورة على ما يذكر الرحالة على بعد نحوا من بضع مئات من الأميال إلى الجنوب من المولتان. وسميت بالمنصورة نسبة إلى منصور بن جهور عامل بنى أمية[٤٢]. كانت مدينة ضخمة «جميع مالها من الضياع والقرى ويضاف إليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة»[٤٣] وبالنظر إلى خارطة حديثة سنكتشف أن هاتين المدينتين وأرباضهما يقعان فى اقليم السند بدولة باكستان وهو اقليم لا يزال غنيا بموارده المائية وزروعه المختلفة يضمّ كثيرا من القرى كثيف السكان.

ويبدو أن رحالتنا رأى نهر مهران (السند) وعلم بأنه له روافد عدة تأتى من بلاد القندهار وكابل وسجستان وكذلك من القشمير (كشمير)[44] (شكل ٢). ويتوقف ليصف غنى قشمير ومنعتها ربما معتمداً فى ذلك على أخبار رحالة سابقين فيقول «وقشمير هذه من ممالك السند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوى ملكها على مدن وضياع نحوا من ستين ألف إلى سبعين ألف لا سبيل لأحد من الناس على هذا البلد إلا من وجه واحد. . . ويغلق على جميع ما ذكرناه من المملكة باب واحد لأن ذلك فى جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها إلا الطير. ومالا جبل فيه فأودية وعرة فأشجار وغياض وانهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان». ويضيف «وماذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور فى أرض خراسان (شمال شرق ايران وشمال غرب أفغانستان) وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا»[45].
ثم يعدد الرحالة بعض ممالك اقليم السند ويخص بالذكر مملكة البلهرا والطافن ورهمى. بيد أنه ليس ثمة دليل على أنه زار كل هذه الممالك والأرجح أنه استقى أغلب معلوماته من بعض أهل النظر والعلم ومن مصادر لم يشر إليها. ومما ذكره عن مملكة «رهمى» أن ملكها «رهمى» له فى مملكته برو بحر وإذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه إلا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وماله الودع[46]. وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست بغيره رقة ودقة. . وفى بلده الحيوان المعروف «بالنشان المعلم». . . وهو الذى تسميه العوام «الكركدن»، ويطنب فى وصف هذا الحيوان وبيئته ويخطىء الجاحظ فيما ذهب إليه فى «كتاب الحيوان» من أن «الكركدن» «يحمل فى بطن أمه سبع سنوات وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه فى بطنها»[47].

٢ - رحلات المرحلة الثانية
٣٠٤ - ٣٣٢هـ

خلال هذه المرحلة الطويلة زار المسعودى كثيرا من الأقطار وأبحر فى بعض البحار الداخلية والمقفلة فزار خراسان وسجستان وكرمان وفارس وجرجان وطبرستان وخوزستان والعراق وأرزبيجان[٤٨] (شكل ٢). أما البحار فيذكر القلزم (الأحمر) والخزر (قزوين). ولما كانت رحلاته البرية فى هذه المرحلة أطول بكثير من تنقلاته البحرية فسنبدأ بوصف معالم الأقطار التى زارها ثم نتبعه بتلك الملاحظات التى سجلها عن بحرى الخزر والقلزم. ونكرر أن المسعودى لم يزر كل هذه البلاد وأنه اعتمد على روايات التجار والرحالة ومن بينهم شيخ وصف له طريق الصين البرى عبر وسط آسيا.

هذه الأقطار التى يصف بعض معالمها تدخل كما يقول فى محيط جبل عظيم يسميه «القبق»[٤٩] وغير واضح لنا تماما هل يقصد به جبال البرز وحدها أو ذلك النطاق الجبلى الألبى الأوسع الذى يبدأ من جبال خراسان فى الشرق وينتهى بجبار القوقاز وطوروس فى الغرب وهذا أوسع أيضا من أقليم الجبال الذى تعرض له بالوصف معاصره ابن حوقل فى مصنفه «صورة[٥٠] الأرض». والأرجح أنه يقصد النطاق الجبلى الألبى المشار إليه وهو كما يصفه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم إذ تسكنه اثنتان وسبعون أمه، لكل أمه منها ملك ولسان. وفى مكان آخر يشير إلى جبل يبدو أنه سلسلة جبال البرز وجبال خراسان يصفه بقوله «وهو جبل ذو أودية وشعاب وفجاج. . . فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا

الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضة . . . ولسلسل المياه من أعلاه»[٥١]. ويستفاد من السياق أن هذا الجبل صار فى عهد الأسلام حدا بين ممالك المسلمين فى جنوبه وممالك الكفار من الخزر وأنواع الترك فى شماله. ومن الثغور الحصينة على بحر الخزر قامت «الباب» أو «باب الأبواب» (شكل ١). لتحمى الممالك الاسلامية من خطر هجوم أعداء الاسلام.

وتمتد إلى الغرب من بحر الخزر شعبة من جبل «القبق» هذا إلى بحر نيطس (الأسود) الذى ينتهى إليه خليج القسطنطينية[٥٢] وعلى هذا البحر تقع مدينة طرابزندة (طرابيزون حاليا) وهى مدينة لها أسواق يأتى إليها خلال العام كثير من الأمم للتجارة منهم المسلمون والروم والأرمن وغيرهم من «بلاد كشك» القريبة[٥٣] ومن ممالك جبل «القبق» مملكة شروان وتطل على الساحل الجنوبى الغربى لبحر الخرز وتتصل بها ممالك صغيرة أخرى مثل الإيران (الأرّان) والموقانية واللكز والأخيرة توصف بأنها أمة قوية لا تحصى كثرة، ساكنة فى أعلى الجبل[٥٤]. وتطل على الساحل الجنوبى لبحر الخزر «مملكة طبرستان» (راجع الخارطة) يحكمها ملك مسلم. يحاذيها من جهة الغرب «مملكة جيلان» وهى من ممالك الخزر يسكن عاصمتها خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية[٥٥]. لكن الغالب فى هذا البلد كما يؤكد هم المسلمون «لأنهم جند الملك» وموطنهم الأصلى خوارزم (شرق بحر الخزر) وقد وفدوا على «مملكة جيلان» (الديلم) بعد أن اجتاح بلادهم وباء ووقع فيها جدب. وأنا موافى هذه المملكة على شروط ثلاثة بينهم وبين الملك هى: اظهار دين الاسلام وأن تكون الوزارة فيهم وأنه متى كان لملك الخزر هذا حرب مع المسلمين وقفوا لا يحاربون أهل ملتهم ولكن يحاربون سائر الناس من الكفار[٥٦]. هكذا كان المسلمون أعزة وذوو بأس وشدة فى بلاد الكفار لا يستعملهم حاكم فى محاربة أخوانهم فى الدين.

ومن المرجح أن المسعودى جاب بعض أقطار جبل القبق وبعض بلاد الخزر لكنه سمع وقرأ عن الأصقاع الشمالية التى تطل على بحر مايطس[٥٧] لذلك فهو يروى ما سمع وما قرأ. من ذلك قوله «وجهة الشمال وعلى نهر برطاس[٥٨] امة من الترك ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية. وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم[٥٩]». ومن أمم الترك الأخرى البرغز الذين يعيشون فى الاقليم السابع» والقوافل متصلة لهم من خوارزم من أرض خراسان ومن خوارزم إليهم، إلا أن ذلك بين بوادى غيرهم من الترك والقوافل مخفرة منهم». ويضيف أن ملك البرغزفى وقته مسلم أسلم أيام المقتدر بالله (وذلك بعد العشرين وثلثمائة) عقب رؤية رآها[٦٠].

ويستطرد فى وصف بلاد البرغز معتمدا فى الأرجح على أخبار رحلات سلّام الترجمان وابن فضلان فيقول «والليل فى بلاد البرغز فى نهاية القصر فى بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتى الصباح»[٦١]. ويضيف أنه شرح علة ذلك فيما سلف من كتبه. أما الروس فهم فى رأيه أمم كثيرة وأنواع شتى يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينة والخزر»[٦٢]. وهنا يقف المسعودى ليدلل على خطأ ما زعمه البعض من أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينة من ناحية ـ وببحر مايطس ـ من ناحية ثانية[٦٣].

وبعد أن يفرغ من روايته عن الأصقاع الشمالية يعاود الحديث عن الممالك والأمم التى تقع حول سواحله الجنوبه وتلك التى تقع إلى الغرب منه. فمن جوجان أبحر فى بحر الخزر من ميناء أبسكون[٦٤]. ويبدو محتملا أنه عندما أبحر من هذا الميناء إلى طبرستان اتجه إلى ـ الُهم ـ ميناء طبرستان فى ذلك الوقت. وعلى بحر طبرستان يعيش الجيل والديلم[٦٥]. وتقع آمُل

أهم مدن مملكة طبرستان فى ظل حبل ديماوند[٦٦] وتختلف المراكب بالتجارات إلى باكه (باكو) وهى معدن النفط الأبيض وغيره. «وليس فى الدنيا - والله أعلم - نفط أبيض إلا فى هذا الموضع (من مملكة شروان)[٦٧]». وفى هذه النفاطه أطمة وهى عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات تتضرّم الصعداء. ويقابل باكة فى البحر جزائر منها جزيرة على ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر فى أوقات من فصول السنة فتظهر منها نار عظيمة تذهب فى الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الأكثر من هذا البحر[٦٨]. وهنا يتذكر المسعودى ما شاهده وسمع عنه من آطام فى اليمن وعمان وصقلية وبلاد المغرب وبلاد المهراج فى جاوة وسومطرة.

ويسمى الرحالة جملة من الأمم والممالك سمع عنها وربما زار بعضها تقع إلى الجنوب وإلى الغرب من سواحل بحر الخزر. من هذه الممالك زريكران وفيلان شاه والرّان وإرم ذات العماد[٦٩]. كل ما نعلمه عنها اشارات تتصل بأمور الملك والحرب وما فيها من جبال ووهاد وآجام وعمران وصناعة وتجارة. وبعيداً عن بحر الخزر من جهة الغرب تعيش على سواحل بحر نيطس وعلى مقربة منه أمم تتصل عمارتها بمدينة رومية وما يلى بلاد الأندلس. من تلك الأمم الابخاز والخزرية والصمصخية والصنارية وشكين»[٧٠]. «وكان الخزرية يؤدون الجزية لصاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون إلى أيام المتوكل حيث فقد المسلمون هيبتهم بسبب ما وقع بينهم من قتال وفرقة»[٧١]. لذلك فقد امتنع ما جاورهم من الممالك من الأذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الأكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام إلى هذا الثغر»[٧٢]. ونقرأ فوق ذلك وصفا مختصرا لبعض الأنهار التى تصب فى بحر الخزر منها الرس (آراس) ذو الروافد

الكثيرة والذى يعبر أذربيجان وبلاد الرّان قبل أن ينتهى فى هذا البحر[٧٣].

ويواصل الرحالة سفراته فنجده فى خراسان ثم يرحل إلى بلْخ قرب نهر بلخ (جيحون) وفيها التقى شيخا ذا رأى وفهم، دخل الصين مرارا لكنه لم يركب إليها البحر قط[٧٤]. من هذا الشيخ ومن غيره من الرحالة علم بما أسماه «جبل النوشادر» الذى يقع فى أقليم الصغد بين سمرقند وبخارى على الطريق البرى إلى الصين «عبر بلاد الشاش (منطقة طشقند) والمسافة بين خراسان والصين نحو أربعين يوما بين عامر وغير عامر ورمل»[٧٥]. لكنه أخطأ حين يذكر بأن بنجهير جبل مناجم الفضة يقع فى خراسان والصواب أنه فى اقليم سجستان الذى يوصف بانه «صقع محاط بتلال رملية كثيرة الشجيرات والأحراج» فى هذا الصقع تكثر القنافذ «وهى وقاية ضد ما يوجد من أنواع الأفاعى والحيات»[٧٦]. وأثناء اقامته فى هذا الأقليم ومن بعد فى فارس وكرمان كان عنده الوقت الكافى ليناقش رأى بعض الجغرافيين القائل بأن نهر جيحون يصب فى البحر الحبشى وكرمان. وقد انتهى إلى رفض هذا الرأى وبنى رفضه على مشاهداته أثناء جولاته فى الجهات الحارة والبادرة من فارس وكرمان وسجستان. ويعبر عن ذلك بقوله «أنهار كرمان (هى وديان تجرى بالمياه موسميا) التى تجرى ميممه نحو مكران معروفة لنا تماما. وهو بهذا يعنى أن جيحون ليس أحد هذه الأنهار[٧٧]. وهذا مثال يكشف عن مقدرة المسعودى على المجادلة المنطقية.

وأثناء طوافه اقليم الجبال (هضبة ميديا قديما) شاهد نهر زندارود عند أصفهان واسترعى انتباهه كما استرعى انتباه جغرافيى عصره ومن قبل أرسطو أن هذا النهر يغور فى باطن الأرض عند نقطة معينة ليظهر فوق سطحها مرة أخرى ولكن دون أن يحاول تقديم تفسير مقبول[٧٨]. وفى اقليم فارس زار مدينة اصطخر حيث اطلع على المصادر الخاصة بالتاريخ والعلوم

الفارسية وزار أيضا ميناء سيراف وكان ميناء مزدهرا ومحطة لتجار ذلك الزمان وملاحيه وقال بأنه يقع على ساحل فارس بين الجبل والبحر وأنه من المدن المعرضة للزلازل. ثم تنقل بين مدن وقرى اقليم الجبال الكثيرة الزلازل. من تلك المدن حمدان (همدان) الرى وقم وأصفهان وهنا لاحظ بتعجب أن الأبقار التى تربى فى ريف هذه المدن تشبه تلك التى تربيها بعض قبائل الزنج فى شرق افريقية وأشار إلى أن أبا زيد السيرافى وصف مدينة حمدان نقلا عن وهب بن منبه الذى يسميه ابن هبار القرشى بأنها مدينة كبيرة كثيرة السكان تنقسم إلى شقين شق شرقى للملك وحاشيته وشق غربى للعامة والتجار[٧٩]، وقبل أن يغادر هذا الاقليم سجل بعض الملاحظات عن حياة قبيلة مجوسية يعيش أفرادها فى أرباض مدينة الرى ويربون هذا النوع من الأبقار.

ويبدو أنه انتقل بعد ذلك إلى خوزستان حيث سار على الطريق بين فارس والبصرة وشاهد جزر الماء الحاد فى شط العرب وسماه «الذئب». هكذا عاد المسعودى إلى وطنه بعد غياب دام عشر سنوات. وخلال اقامة قصيرة زار مسقط رأسه بغداد وانتقل إلى تكريت وهيت[٨٠]، وتجول فى أرض الجزيرة فزار الرقة حيث دخل فى مجادلات لاهوتية مع الفلاسفة اليهود وكذلك اجتمع إلى الصابئة فى مجالسهم وأماكن عبادتهم فى حران[٨١] لكنه لم يقدم لنا أية معلومات جغرافية عن أرض الجزيرة[٨٢] هذه. ومع ذلك فهو يشيد فى أكثر من موضع بفضل وطنه العراق على بقية الأوطان. فهو أفضل بقعة على ظهر البسيطة وذلك لتوسط موقعه واعتدال مناخه وذكاء أهله وفطنتهم ثم أن بغداد أو مدينة السلام درة فى تاج الاسلام. وأفضل مواضع الأرض جميعها فى الطيب والغذاء ودجلة والفرات أفضل أنهار العالم[٨٣].

وكان أهم البحور التى تحدث عنها فى هذه المرحلة هو بحر الخزر (أو

بحـر العجم) فقـال بانفصاله عن بحر نيطس (الأسود) وبحر ما يطس (البحـر البلطى) وتحـدث عن الأنهار التى تصب فيه خاصـة الـبرطاس (الأورال) والرس (آراس) وأشار إلى بعض جزره البركانية والتجارة التى ينقلها الترك والروس عبره إلى غير ذلك مما سبق أن ألمحنا إليه. كذلك أشار إلى بحر القلزم أشارات سريعة. فهو خطر على الملاحة بسبب وجود أعداد لا تحصى من الشعاب المرجانية تحت مياهه. ولهذا السبب حرص الربابنة ألا يبحروا بمراكبهم أثناء الليل انما الا بحار اثناء النهار المبصر. ولشغفه بركوب البحر لم يترك فرصـة سنحت له للسفر فى بحيرة أورمية التى تقع فى أذربيجـان ويطلق عليهـا اسم «بحيرة كبودان» نسبة إلى قرية تقع فى أحـدى جزائـرها. وبعد أن يحدثنا عن اختفاء الأسماك والحياة البحيرية الأخرى من مياهها يقرنها ببحر نيطس بسبب ملوحتها[٨٤]. أما بحر نيطس فلم يخصـه بشىء يذكر اللهم إلا اشارته إلى ميناء ترابيزندة على ساحله الجنوبى الشرقى وخليج القسطنطينية الذى يربطه ببحر الروم.



٣ - رحلات المرحلة الثالثة
من ٣٣٢ إلى ٣٣٦هـ

هذه المرحلة تتداخل شيئا ما فى المرحلة السابقة ذلك أن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن رحالتنا زار سورية ومصر قبل عام ٣٣٢هـ. ففى سورية نزل بحلب فى عام ٣٠٩هـ وفى طبرية[٨٥] فى عام ٣٢٤هـ ونزل بالفسطاط لأول مرة فى عام ٣٣٠هـ[٨٦]. ومهما يكن أمر زياراته تلك فانه لم يحل عام ٣٣٢هـ حتى رأيناه فى أنطاكية ذات الأسوار المنيعة والتى تتصف أيضا بكثرة زلازلها وفساد مياه الشرب فيها. ومما يشير إلى أنه كان على صلة مستمرة بغيره من الرحالة أنه بلغته أثناء اقامته فى هذه المدينة أخبار ارتفاع فيضان النيل إلى ثمانية عشر ذراعا وهو ارتفاع فيه صلاح لكل أرض مصر[٨٧]. ويبدو أنه رجع إلى مصر فى نفس العام لكن اقامته فيها كانت قصيرة فقد غادرها إلى بعض مدن فى سورية ولبنان والأردن وفلسطين ثم قضى وقتا ليس بالقصير متنقلا فى منطقة الثغور التى تحرس المسلمين من هجمات البيزنطيين. لكنه لم يركب بحر الروم وان كان يروى ما يدل على صلته بالبحر الحبشى من وجود ألواح مراكب لا تعرف إلا فى هذا البحر قذفت بها الأمواج إلى هذا البحر الرومى[٨٨]، أما تعليقه على البحر الميت فهو بحيرة منتنه لا حياة فيها.

ولقد توطدت الصداقة بينه وبين حاكم هذه الثغور أبى عمير المدنى الذى سبق له أن أبحر إلى القسطنطينية عبر المضايق وأخبر المسعودى عن الصلة بين البحرين الرومى ونيطس[٨٩]، ويبدو أنه التقى أثناء أقامته بطرابلس عبدا من عبيد حاكم هذا الميناء وصفه بأنه بحار مجرب وخبير

بسفن البضاعة والحرب. كذلك التقى عامل بلدة جبلية عبدالله بن وزير الذى رفع من شأنه وأثنى عليه وعده أعظم الثقات فى الشئون الملاحية فى بحر الروم. من أمثال هؤلاء الرجال الذين اكتسبوا خبرة عملية فى الملاحة فى بحر الروم وخليج القسطنطينية جمع المسعودى قسما من معلوماته عن هذه البلاد وسكانها وتجاراتها.

نعود إلى المسعودى فى مصر عام **٣٣٢هـ** حيث مكث فيها فترة قصيرة التقى خلالها صديقا لحاكم الواحات وطرح عليه عديدا من الأسئلة تدور حول صفة هذا الأقليم وحياة الناس فيه[٩٠]. وزار أخميم فى مصر العليا حيث ألتقى عدداً من ثقاة الناس أمدوه بمعلومات عن المعابد والآثار القديمة، كذلك صعد فى نهر النيل إلى أسوان وهناك شاهد جبلا يقلع منه المرمر لاستخدامه فى أغراض البناء. ثم واصل رحلته جنوبا إلى بلدة بلاق التى يصفها بأنها أعلى نقطة على النيل تصعد إليها سفن المسلمين. ويبدو أنه أقام أكثر أيامه فى الفسطاط بعد **٣٣٦هـ** وهنا جمع مادة طيبة عن مصر تختص بمعالم سطحها ومناخها ومعادنها ونهرها وآثارها وعادات أهلها وتقاليدهم[٩١].

وبعد فهذا هو المسعودى رحالة العصر، نظلمه إذا ما قارنا كتاباته بما تركه معاصروه من أصحاب المدرسة المنهجية. فالمادة الجغرافية التى جمعها خلال رحلاته وضمنها مصنفه الشهير «مروج الذهب» محدودة تبدو فى شكل ملاحظات غير مترابطة فى الغالب تذكرنا بملاحظات مراسل صحافى يقوم بجولات سريعة فى بلاد العالم المختلفة. ومع ذلك فهى فى أكثر من موضع ذكية ودقيقة تعتمد على التجربة والمعاينة واللقاءات الشخصية. وربما دفعه ذلك إلى انتقاد آراء من نقل ولم يعاين مثله. فقد انتقد مثلا الرأى القائل باتصال السند بالنيل وبحر نيطس ببحر الخزر. وربما كانت كثرة تجاربه

ومشاهداته سببا من أسباب فخره بنفسه واعتزازه بما أتى به. إلا أننا مع ذلك نجده قد حاد أحيانا عن الخط الواقعى وأخذ بنظريات السابقين. فبرغم اطلاعه مثلا على خارطات الملاحين والربابنة واستماعه لأحاديث أصحاب المراكب فان وصفه لسواحل البحر الحبشى وجزره لم يكن على مستوى التجربة العملية المتوقعة من رحالة مثله. لكن ربما كان أشد نقد يوجه إليه أنه لم يهتم فى كتاباته بتحديد الاتجاهات وطول المسافات ولا بالتصنيف وتمحيص الحقائق كما لم يلتزم بمنهج سليم. فنظرة إلى محتوى كتابه السالف الذكر وأبوابه تكشف عن وصف عشوائى يخلط فيه الجغرافيا بالتاريخ، قد يقطع سياقه ذكر شىء مستلطف كذكر العنبر واللؤلؤ أو اقحام اسطورة على النص، وهذا ما يشتت فى رأينا ذهن القارىء لكن ربما كان يهدف من وراء ذلك إلى تسلية القارىء وامتاعه[٩٢].

وبرغم هذه الزلات فلا يجب أن نغمط الرجل حقه من التقدير والاحترام خاصة إذا قومنا أعماله فى اطار عصره ومن خلال حياة الرحلة التى اختارها لنفسه. ويكفيه فخرا أنه خرج مرتحلا سنين طويلة طلبا للعلم والمعرفة عملا بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾. (سورة غافر ٢٠).

وبالله التوفيـــق،



ياجوج ومأجوج

الصين

التبت

خراسان

فارس

الشاش

الصغد

تفليس

الخزر

الترك

أرض الروم

بحر الروم

مصر

جزيرة العرب

الحبشه

صنعاء

حضرموت

الخليج البربري

بحر لاروى

ممالك كنباية الجمجه

الهند

المنصورة

قشمير

سرنديب

جزر الديبجات

بحر الزنج

البحر الحبشى

جزيرة قنبلو

صفر

١٥٠٠ كم

الصنف

كله

جزر أندمان

بحر كردنج

المهراج

الزابج - الرامين

(شكل ١) - أهم أسماء الأماكن في رحلات المسعودي

البرطاس
نهر آتل
الترك
الصين
بحر خوارزم
فرغانة
الشاش
طشقند
بحر القوقاز
الخزر
أرمينية
بحر نيطس
السرير
تفليس
طرابيزندة
باب الأبواب
شروان
الموقان
الايران
أذربيجان
خوارزم
باكه
بخارى
سمرقند
الصغد
جرجان
أبسكون
جرجانية
جيلان
طبرستان
خراسان
أرض الروم
كابل
قندهار
سجستان
الرقة
أرض الجزيرة
تكريت
الري
همذان
الجبال
بغداد
أصفهان
الشام
طرابلس
دمشق
بحر الروم
هيت
الكوفة
العراق
الأهواز
فارس
البصرة
مصر
ديار العرب
مكران
بحر اللاروى
السند
أسوان

(شكل ٢) - أهم أسماء الأماكن في رحلات المسعودي

الحــــواشـى

١ - ابن النديم - الفهرست - طبع بمصر، ص ٢١٩.
ابن شاكر - فوات الوفيات - تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد - طبع بمصر جـ ٢ ص٩٤.

٢ - المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٧٣م، جـ١ ص١٢.

٣ - المسعودى - التنبية والاشراف - بيروت ١٩٨١م ص٨٢.

٤ - المصدر السابق ص١٧، ٨٢.

٥ - المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص٣٦٣.

٦ - يرى جورجى زيدان فى «تاريخ اللغة العربية» - بيروت بدون تاريخ ج٢ ص٣١٣ أنه طاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩هـ وفى السنة التالية قصد الهند إلى ملتان والمنصورة ثم عطف إلى كنباية فصيمور فسرنديب ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين وطاف البحر الهندى إلى مدغشقر وعاد إلى عمان، ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤هـ إلى ما وراء أذريبجان وجرجان ثم إلى الشام وفلسطين وفى ٣٣٢ جاء أنطاكية ودمشق واستقر بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥هـ.

٧ - الأرجح أن تكون جزيرة قنبلو هى الجزيرة الكبرى بين جزر القمر وليست مدغشقر راجع فى ذلك:

Reinaud, M. Relation des, voyages fait per les Arabe, et les Persans dans l'Inde et la Chine. Paris 1845, vol. I,pp 25-26.

٨ - يعتبر ابن حوقل بحر فارس هو البحر الحبشى - راجع ابن حوقل «صورة الأرض» - بيروت ص٢٠ .

٩ - المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ، ص١٠٨ .

١٠- نفس الصفحة

١١- نفس الصفحة .

١٢- المصدر السابق - جـ١ ص١٥٠ .

١٣- نفس الصفحة .

١٤- المصدر السابق - ص١١٧ .

١٥- نفس المصدر - ص١٤٨ .

١٦- نفس المصدر - ص١١٢ .

١٧- نفس المصدر - ص ١٥٠ .

١٨- نفس الصفحة .

١٩- نفس المصدر - ص١٤٨ .

٢٠- نفس الصفحة .

٢١- نفس المصدر - ص١٥٢ .

٢٢- نفس الصفحة .

٢٣- نفس الصفحة .

٢٤- نفس المصدر - ص١٥٣ .

٢٥- نفس الصفحة .

٢٦- نفس المصدر - ص١٥٥ .

٢٧- راجع Reinaud M.Introduction Gererale vol.p.73.

٢٨- المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص١٥٤ .

٢٩- اقليم على مقربة من صعدة باليمن - راجع - ياقوت الحموى - معجم البلدان - بيروت ١٩٧٩م - جـ٤ ص٤٩٦ .

٣٠- المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ١ ص١٩٨- ١٩٩ .
٣١- خرائب قصر بين صنعـاء وخيوة ـ راجـع فى ذلك ياقوت ـ معجم البلدان ـ جـ٤ ص٢١٠ .
٣٢- المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ١ ص١١٠ .
٣٣- مدن ساحلية فى أقليم كنباى بالهند وتشتهر بعمل النعال الكنبائية ـ راجع ـ المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ١ ص١١٦ .
٣٤- المصدر السابق ـ ص١٦٩ .
٣٥- نفس المصدر ـ ص١١٧ .
٣٦- نفس الصفحة .
٣٧- المصدر السابق ـ ص١٧٥ .
٣٨- نفس المصدر ـ ص٨٢ .
٣٩- نفس الصفحة .
٤٠- المصدر السابق ـ ص١٦٧- ١٦٩ .
٤١- نفس المصدر ـ ص١٦٧ .
٤٢- نفس الصفحة .
٤٣- المصدر السابق ص١٦٨ .
٤٤- المصدر السابق ـ ص١٦٥ ـ ١٦٦ .
٤٥- نفس المصدر ـ ض١٦٦ .
٤٦- نفس المصدر ـ ص١٧١ .
٤٧- نفس الصفحة .
٤٨- كان اقليم جرجان الذى يطل على الركن الجنوبى الشرقى من بحر قزوين يتكون فى معظمه من سهول واسعة ووديان ترويها مياه نهرى جرجـان وأترك. هذا واشتمل اقليم خوزستان على كل الأراضى

الفيضية لنهر قارون . راجع فى ذلك Le Strange- Lands of the Eastern Chaliphate, London, 1966 p. 2328376.

٤٩- جاء اسم هذا الجبل فى كتاب «مروج» جزء ١ ص١٧٦ «القبخ» بينما سماه «القبق» فى التنبية والاشراف» ص٧٢ وقد فضلت تسميته «القبق» لأن معاصره ابن حوقل يسميه بنفس هذا الاسم - راجع - ابن حوقل «صورة الأرض» ص٢٠ .

٥٠- المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص١٧ .

٥١- نفس المصدر - ١٧٧ .

٥٢- نفس المصدر - ص١٧٦ .

٥٣- تسمى «بلاد كسكر» فى احدى المخطوطات .

٥٤- المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص١٧٨ .

٥٥- نفس الصفحة .

٥٦- المصدر السابق - ص١٧٩ .

٥٧- يُسمى فى بعض مواضع الكتاب وكذلك فى كتاب «التنبية والاشراف» «مايطش» وهو على الأرجح «البحر البلطى» كذلك يكتب «نيطس» (البحر الأسود) «نيطش» . ومنطس (بحر أزوف) «منطش» وذلك فى كتاب «التنبية والاشراف» .

٥٨- الأرجح أنه يقصد نهر الأورال أما نهر الفلجا فيسمى «نهر الخزر» وأحيانا «نهر آتل» .

٥٩- المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص١٨١ .

٦٠- نفس الصفحة .

٦١- المصدر السابق - ص١٨٢ .

٦٢- نفس المصدر - ص١٨٣ .

٦٣- يؤكـد المسعـودى على هذا الـرأى فى صفحة ١٢٥، ص١٨٥ فى «مروج الذهب» جزء١ . لكنه يناقض نفسه فى ص١٨١ من نفس الكتاب وكذلك فى «التنبية والاشراف» ص٦٩ ـ ٧٥ وهذا يعود إلى عدم اهتمامه بتمحيص الحقائق.

٦٤- المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ١ ص ١٢٥ .

٦٥- نفس المصدر ص٩٢ .

٦٦- يسميه الرحالة «دنباوند» وكان يعد أعلى الجبال إذ ذاك وفى هذا يقول «ويرى من مائـة فرسخ لعلوه . . . والثلوج مترادفه عليه ـ المصدر السابق ص ٩٢ـ ٩٣ .

٦٧- المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ١ ص١٨٤ـ ١٨٦

٦٨- نفس الصفحات .

٦٩- المصدر السابق ـ ص١٩٢ـ ١٩٥ .

٧٠- نفس المصدرـ ص٢٠٠ ـ ٢٠٦ .

٧١- نفس المصدرـ ص٢٠٣ .

٧٢- نفس المصدرـ ص ٢٠٣ .

٧٣- نفس المصدرـ ص ٢٠٦ .

٧٤- نفس المصدرـ ص ١٥٧ .

٧٥- نفس الصفحة .

٧٦- المصدر السابق ـ ص ١٩٩ .

٧٧- نفس المصدرـ ص ١٠٢ .

٧٨- زندارود هو أهم رافد من روافد نهر أصفهان ـ وقد جاء ذكر الرحالة لهذه الظاهرة فى «مروج الذهب» جـ١ ـ ص١٠٢ .

٧٩- المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

٨٠- نفس المصدر - ص١٠١ .
٨١- تقع حران قرب منابع نهر بليخ فى تركيا .
٨٢- المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص٩٥ - ٩٦ .
٨٣- المصدر السابق - ص١٠١ راجع كذلك «التنبية والاشراف» ص ٥٣ - ٥٤ .
٨٤- هى «كبوذان» عند ابن حوقل («صورة الأرض» - ص٢٩٦) الذى يتفق مع المسعودى فى أنه لا توجد فى مياهها أسماك على الاطلاق بينما يذكر الأصطخرى معاصرهما أنها غنية بالأسماك .
٨٥- كانت عاصمة اقليم الأردن فى سورية .
٨٦- المسعودى - مروج الذهب - جـ١ ص٣٤٣ .
٨٧- نفس المصدر - ص١٠٠ .
٨٨- نفس المصدر - ص١٦٣ .
٨٩- نفس المصدر - ص٣٣٠ - ٣٣٥ .
٩٠- نفس المصدر - جـ٢ ص٢٧ .
٩١- نفس المصدر - جـ١ ص٣٣٩ - ٣٦٩ .
٩٢- نفس المصدر - جـ٢ ص٢٣٥ .

